Journal Of the Iraqia University (76-5) August (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

الملامح الجسدية للمرأة في روايات الكاتبة زينب حفني (دراسة تحليلية)

وضاح خلف عواد عطية العبيدي

أ.د. عبد الرحمن محمد محمود الجبوري

جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية

waddahalobaedy@gmail.com

الملخص :

يتناول البحث موضوع الملامح الجسدية للمرأة في روايات الكاتبة زينب حفني دراسةً تحليلية، إذ يهدف إلى الكشف عن الدلالات الفنية والنفسية والاجتماعية التي يحملها الوصف الجسدي للشخصية النسائية في أعمالها الروائية اعتمدت الدراسة على مجموعة من روايات الكاتبة، من أبرزها : الرقص على الدفوف، لم أعد أبكي، سيقان ملتوية، وسادة لحبك، ملامح، وبالأمس كنت هنا .وتوصل البحث إلى أن المرأة في روايات زينب حفني تظهر في صورتين رئيستين: صورة المرأة الجميلة التي ينعكس جمالها على وعيها الاجتماعي وعلاقاتها بالآخرين، وصورة المرأة المعذبة التي تحمل ملامح جسدها آثار القهر النفسي والاجتماعي. كما بينت الدراسة أن الكاتبة تعتمد على تفاصيل دقيقة في رسم الجسد مثل الوجه، والعينين، والشعر، وحركة الجسد، بوصفها علامات دالة على الحالة الداخلية للشخصية، مما يجعل الجسد امتداداً مباشراً للذات النفسية.كما أبرز البحث أن الخطاب الروائي عند زينب حفني يتسم بجرأة واضحة في تناول موضوع الجسد الأنثوي، حيث يرتبط هذا الجسد في كثير من الأحيان بقضايا اجتماعية مثل الكبت، والحرمان العاطفي، والقيود الأسرية، والسلطة الذكورية، وهو ما يعكس رؤية نقدية للواقع الاجتماعي للمرأة السعودية تحديداً. وقد تبين أن هذه المعالجة ليست وصفية سطحية، بل تحمل أبعاداً فكرية تسعى إلى مساءلة البنية الاجتماعية والثقافية التي تشكل وعي المرأة وتحدد حركتها داخل المجتمع.**الكلمات المفتاحية : الملامح الجسدية – الرواية السعودية – زينب حفني – النقد الأدبي**

المقدمة:

تُعَدُّ دراسةُ الملامح الجسدية للمرأة في الرواية العربية من الموضوعات النقدية المهمة؛ لما تحمله من دلالاتٍ فنية ونفسية تكشف طبيعة بناء الشخصية الروائية وأبعادها الإنسانية. وقد أولت الكاتبة زينب حفني اهتمامًا واضحًا بالوصف الجسدي للشخصية النسائية في رواياتها، فجعلته وسيلةً فنية للتعبير عن الحالة النفسية والاجتماعية للمرأة، ولم يقتصر على تصوير الشكل الخارجي أو إبراز ملامح الجمال فحسب، بل ارتبط بدلالاتٍ رمزية تعبِّر عن القهر أو الضعف أو التمرد أو الانكساروقد تنوَّعت الصور الجسدية التي قدَّمتها الكاتبة للمرأة، فظهرت الشخصية النسائية أحيانًا في صورة المرأة الجميلة الواثقة، وأحيانًا أخرى في صورة المرأة المتعبة التي تعكس ملامحها آثار المعاناة والحرمان. كما أسهم الوصف الجسدي في إبراز طبيعة الشخصيات واختلافها، من خلال التركيز على تفاصيل الوجه والعينين وحركة الجسد وطريقة اللباس، بما يكشف عن مشاعر المرأة الداخلية ومواقفها من الحياة والمجتمع.واعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من روايات الكاتبة، وهي :الرقص على الدفوف، ولم أعد أبكي، وسيقان ملتوية، وملامح، ووسادة لحبك، وبالأمس كنت هنا، لما تتضمنه من نماذج متنوعة للشخصية النسائية، وما تقدمه من صورٍ فنية تكشف الأبعاد الجسدية للمرأة في المجتمع العربي. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في تحليل تلك الملامح، والكشف عن الدلالات الفنية التي وظَّفتها الكاتبة في رسم شخصياتها النسائية، بما يبرز رؤيتها الفكرية والإنسانية للمرأة.

المطلب الاول : حياة زينب الحفني

تُعَدُّ زينب حفني من الكاتبات السعوديات البارزات في مجال الرواية والقصة والصحافة، وُلِدت في مدينة جدة سنة ١٩٦٥م، وتخرَّجت في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٩٣م. بدأت مسيرتها الصحفية سنة ١٩٨٧م، وعملت في عدد من الصحف السعودية المحلية، كما كتبت في مجلات عربية عديدة، منها مجلة "صباح الخير" المصرية، ومجلة "الرجل" اللندنية، ثم واصلت نشاطها الصحفي عبر كتابة مقال أسبوعي في صحيفة "الشرق الأوسط" الدولية لمدة خمس سنوات، قبل أن تطرح زاوية بعنوان "وجهات نظر" في جريدة "الاتحاد" الإماراتية .وقد اتسمت مقالاتها

بالطابع الاجتماعي والإنساني، إذ تناولت من خلالها قضايا المرأة والمجتمع العربي. كما أصدرت عدداً من الأعمال الأدبية، من بينها المجموعات القصصية: "قيدك أم حريتي"، و"نساء عند خط الاستواء"، و"هناك أشياء تغيب"، إضافة إلى رواياتها المعروفة مثل: "الرقص على الدفوف" و"لم أعد أبكي". ومن مؤلفاتها أيضاً كتاب "مرايا الشرق الأوسط" الذي جمع عدداً من مقالاتها الصحفية، فضلاً عن ديوان "إيقاعات أنثوية" الذي صدر عام ٢٠٠٥م. وشاركت الكاتبة في العديد من الفعاليات الثقافية والأدبية، منها مشاركتها في معرض القاهرة الدولي للكتاب سنة ٢٠٠٠م، كما استُضيفت في دمشق ضمن نشاطات الصالون الأدبي الذي كانت تقيمه الدكتورة جورجيت عطية، والذي اهتم باستضافة شخصيات ثقافية وفكرية متنوعة. [١] . شاركت زينب حفني في عددٍ من الملتقيات والفعاليات الثقافية والأدبية العربية، إذ أسهمت في ملتقى المرأة والكتابة بمدينة آسفي في المغرب عام ٢٠٠٤م، من خلال ورقة بحثية بعنوان "حكايتي مع الحرف". كما شاركت في الندوة النسوية الأولى "المرأة والإبداع والتاريخ" بجامعة القاضي عياض في بني ملال بالمغرب سنة ٢٠٠٥م، وقدمت خلالها محاضرة بعنوان "المرأة ودورها في صنع التاريخ"، إلى جانب مشاركتها في أمسية شعرية .وقد أثارت أعمالها القصصية والروائية اهتماماً واسعاً وجدلاً كبيراً بسبب جرأة الطرح والقضايا التي تناولتها، ولا سيما ما يتصل بواقع المرأة والمجتمع. كما شهدت مسيرتها الأدبية العديد من حفلات توقيع الكتب والحوارات الصحفية في الصحف المحلية والعربية، فضلاً عن ظهورها في عدد من البرامج والمقابلات التلفزيونية عبر القنوات المصرية واللبنانية والسورية، إضافة إلى مجموعة من الفضائيات العربية. [٢] ترى زينب حفني أنَّها استطاعت تجاوز الكثير من القيود الفكرية والاجتماعية السائدة في المجتمعين المحلي والعربي، الأمر الذي أثار جدلاً واسعاً حول أعمالها الأدبية. وقد اعتمدت في بعض رواياتها على توظيف موضوعات الجسد والعلاقة الإنسانية بوصفها وسيلة فنية للتعبير عن قضايا أعمق تتصل بحرية الإنسان والواقع الاجتماعي، إذ لا تنظر إلى هذه الموضوعات باعتبارها أمراً معيباً، بل تعدّها جزءاً من التجربة الإنسانية. وفي المقابل، تعرَّضت أعمالها لانتقادات من بعض النقاد والقرّاء، الذين رأوا أن أسلوبها الروائي يتسم أحياناً بالبساطة والتفكك والسرد التقليدي، وعدّ بعضهم أن جرأة الطرح كانت تهدف إلى لفت الانتباه وتحقيق الانتشار الواسع [٣] .

المطلب الثاني : المرأة السعودية

بدايةً وقبل الولوج إلى الملامح , سنُعطي مُلخَّصاً موجزاً عن المرأة السعودية , وكيف يتِمُّ استِغلالها من قِبَلِ الرجل أو المجتمع بالنيلِ من حُقوقِها, وشرفها, وذاتها, ووجودِها, واستقلالِها في مجتمع محافِظٍ ظاهِرِيَّاً ومتشدد , وداخلهُ دوَّامةٌ من الفساد والجوانب المُحرَّمة وإشباع الذات الذكورية والتقاطع مع الدين الإسلامي , هذا كلهُ نتج نتيجةَ الضغط الديني وضغط العادات والموروثات الاجتماعية على المرأة في المجتمع السعودي ؛ لذلك فإن المرأة وملامحها في روايات الروائية زينب حفني تتشكّلُ من خلال جدلية واسعة ومعقدة بين الجسد الأُنثوي كفضاءٍ للجسد المحرم والمهمَّش والمقموع , فهو ليس مجرد وصف خارجي للأنثى , بل هو وعاءٌ وحاضن لمعاناة المرأة السعودية , أو يكون بمثابة أداةٍ للتمرُّد , وبين المجتمع المتمثل كفضاءٍ للسلطة الأبوية أو الزوجية , والقيود المجتمعية الأخرى , فالمرأة السعودية تحاول جاهدةً صِناعةَ منزلتها الاجتماعية بذاتها , بدلاً من المنزلة المفروضة عليها قسراً ؛ لذلك نرى الروائية نوال السعداوي تذكر قائلةً : إن المرأة العربية عامةً والسعودية خاصةً , هي التي تقعُ ضحيةً للمجتمع الذكوري الذي أجبرها على القيام بأعمالٍ غير مشروعة[٤], كما وضَّح القصيبي من خلال رواياتهِ أن المرأة العربية لها حضور وتفاعل اجتماعي واسع, وعلى وجه الخصوص المرأة السعودية , التي أُبعِدَتْ عن الساحة الاجتماعية , فهي رهينةً للموروثات والعادات والتقاليد التي يفرِضُها عليها المجتمع ,لكن المرأة العربية على الرغم من تلك القيود استطاعت أن تَشُقَّ طريقها من خلال الكتابة والإبداع , وأن تتعدَّى في إبداعاتها الجوانب الذكورية ,فغدتْ حاضرة كمّاً وكَيفاً في المجالات الإبداعية المتنوعة ,وباتَ مُنتَجَها وصوتها وعطاؤها واضحاً جليّاً بارِزاً في المشهد الإبداعي والثقافي[٥]

المطلب الثالث : دراسة تطبيقية عن الملامح الجسدية للمرأة في روايات الكاتبة زينب حفني :

في روايات الكاتبة نرى صورة الجسد حاضرة في كل اطياف رواياتها ، ففي رواية (الرقص على الدفوف) , ففي رواية (لم أعد أبكي) , نجدُ وصفاً لبطلةَ الرواية (غادة): ((وقفتْ غادة أمام المِغسلة , أخذت تتأمَّلُ ملامِحها بإعجاب , ابتسمت بغنج . تُدرِك كم هيَ فاتنة : شعرُها الكستنائي المتموّج يُغطّي سحابةَ ظهرِها , ووجهُها الأنثويَّ الجذاب , حاجِباها الكثيفان المرسومان بِعفوية , عيناها الواسعتان المغروس فيهما فصَّانِ عسليان , ... جسدها الملفوف النحيف , طولها الفارع , نهداها البارزان , مشيتها المتبخترة)) [٦]فها هيَ ملامح غادة تبدو واضحةً مغترَّةً بنفسِها ؛ بسبب ملامح جسدها : شعرها الناعم الطويل المتموّج , وجهُها البريء الجميل , الحاجبان البارزان إلخ... هذه كلها ملامح تُعطي انطباعاً جسدياً جميلاً , يُشعِرُها بالرضى والقُبول, حيثُ ((اعتادت على رؤية نظرات الانبِهار ممَّن تقعُ عيناهُ عليها من الرجال , ونظرات الحسد والغيرة في أعيُن النساء . تتذكَّرُ جيداً أوَّل عريسٍ تقدَّم لِخُطبتها . كانت وقتئِذٍ لم تتجاوز الخامسةَ عشرةَ من عُمرِها , وكان الكثيرُ من الأقارِب والمعارف يتمنّون أن تُصبِحَ زوجةً لِأحدِ أبنائِهِم)) [٧]وبسببِ جمالها الفاتن كان يتحرشُ بها سائق العائلة (زيد) : ((كانت عيناهُ تلمعانِ لمعاناً غريباً , لم أفهم حينها تلك الإشارات المُنبثِقة

منهُما , ضمَّني إليهِ وأخذ يتحسَّسُ جسدي , تمادى أكثر , وأرى أصابِعَهُ بين فَخذَي , تطلعتُ إليهِ مُغتبِطةً , ظلَّ على هذه الحال دقائق معدودة , غاب سوادُ عَينَيه , أخذت ساقاهُ ترتَجِفان , تراخت بعدَئِذٍ قِواه , أحسَسْتُ بِسائِلٍ دافئ يُبَلِّلُ ثَوبي , فقلتُ لهُ بِبراءة : لقد تبوَّلتَ على نَفسِكَ يا زيد . لو رأتكَ أُمّي لوبَّختك ؛ تُحَذِّرُني دائِماً من التبوُّلِ ليلاً في سريري , تقولُ إنني كبُرتُ على هذهِ الفِعلة !! ...)) [٨]يكشف النص عن تعرّض غادة لاستغلالٍ مبكر من سائق العائلة زيد، الذي خدش طفولتها واستغل حاجتها العاطفية، فتعلّقت به رغم صغر سنّها. غير أنّها صُدمت حين علمت بعودته إلى بلده للزواج، بعدما ترك أثرًا نفسيًا عميقًا في حياتها [٩]يتضح لنا من خلال أحداث الرواية , مدى تأثير الكبت على المرأة السعودية , حسب ما ظهر في رواية (لم أعد أبكي) , هذا الكبت الذي ولَّدَ اتِّجاهاً عكسياً , خصوصاً في ما يخصُّ إشباع الغريزة الجسدية , وما كانت الكاتبة لتكتُبَ بهذهِ الجرأة لولا هذا الاتجاه العكسي للكبت الذي بدا واضحاً لديها من خلال كتاباتها . ونقرأ في رواية أخرى : ((يا تُرى هل سيبقى هذا الجسد غضَّاً جميلاً , بعد زواجٍ دام خمسَ عشرةَ سنة ؟ خلعت ملابِسها , وتفحَّصت جسدها أمام المرآة , وكانتِ النتيجة أنَّها شابَّة جذابة , ابتسمت وأخذت تُدندِنُ أُغنيةَ فريد الأطرش الحياة حلوة للي يفهمها)) [١٠]يتضح لنا من خلال المقطع السابق , تركيز الكاتبة على قضية الغريزة والحب عند المرأة السعودية, وكما قلنا مُسبقاً , يُمكِنُ أن يعود ذلك إلى الإحساس العكسي الذي ولَّدهُ الكبت عند الكاتبة نفسها حيث نقرأ في مقطع أخر من الرواية ((أحضرت نور لثريا لباس (المايوه) , ونزل الأربعة إلى مياه البحر الأحمر , كان الماءُ بارِداً , صرخت ثريا فمسك فؤاد بيدِها بقوَّة , فتملَّكت ثريا مشاعر جميلة . كانت عيناه تتصفَّحُ هضبات صدرِها , بلعَتْ ريقها , أخذتْ يداها ترتجِفان , ووجدت نفسها مُرتميةً في أحضانه , وغاصا في القُبَل , وحاول العبث في خبايا أنوثتها , فأزاحتهُما برفق. لم تنسَ ثريا تعليمات أمِّها بالنسبةِ للرجال , ومرةً سألت نور صديقتها ثريا : ماذا يحدث حين تختلين بِفؤاد ؟ قالت : يأخُذُني بين ذِراعَيه , ويُقبِّلُني قُبلةً طويلة)) [١١]يُبرز النص اهتمام زينب حفني بالغريزة الجسدية والعاطفية بين الرجل والمرأة، موضحًا أثر الكبت والضغوط الاجتماعية والنفسية على المرأة، مما يدفعها إلى البحث عن التحرر وإشباع حاجاتها العاطفية والجسدية رغم القيود الأسرية والمجتمعية ((كنتُ أُحَلِّقُ مُنتَشيةً , وأنا أروي شَبَقَ مراهقتي منه))[١٢]. ولكن الصدمة , أن فؤاداً قد قال لها أن أباهُ سيقومُ بتزويجهِ من ابنةِ عمِّه , فكانت هنا خيبة الامل لثريا من فؤاد بالزواج رُغم علاقتهُما الحميمة . تدور القصة حول ثريا، شابة في العشرين زُوِّجت مبكرًا بسبب الظروف المادية، لكنها عاشت زواجًا غير مُرضٍ لطموحها. وبعد ثلاث سنوات، حاول زوجها استغلالها بدفعها للتقرب من مديره مقابل المال والارتقاء المادي، ما وضعها أمام ابتزاز واستغلال لجسدها لتحقيق مصالح مادية، ((...كانت ثريا تميلُ نحوَ الرجل, تدنو بشفتَيها من وجهه, قائلةً لهُ بِلسانٍ مُعوَج: أتعرِفُ أن اليومَ هو عيد ميلادي الثلاثون. عندئذٍ أمرَ الرجلُ النادل أن يأتيَ بِقالبِ حلوى, مكتوبٌ على سطحِهِ, اسمُها باللغة الإنجليزية, واعِداً إيَّاها بأنهُ سيستدعي رسَّاماً مشهوراً, متخصِّصاً في رسمِ المشاهير, ليرسمها احتِفالاً بهذهِ المُناسبة. ليلتذاك رقصَتْ ثريا طويلاً معهُ, كانتْ تقطُرُ إثارةً في حركاتِها, في نظراتِها, في مظهرِها, كانتْ تتربَّعُ على عَرشِ الإغراء, مِمَّا أشعلَ وقود رغباتي, اشتَهَيتُها بِجُنون, لكن كان مُتعذِّراً أن أنتَزِعَها من بين ذِراعَيه, هذا سيؤدِّي إلى فُقداني مزايا كثيرة...)) [١٣]نلحظ في هذا النص من الرواية مدى استِهانة ثريا بجسدها وشرفِها وسُمعةِ عائلتِها؛ من أجل الحصول على الحياة المُترفة الغنية , عن طريق زوجها القوَّاد . نرى أن هذه الدِلالات الجسدية كُلُّها , قد قامت الروائية السعودية زينب بتسطيرِها على الورق بِكُلِّ جرأةٍ وشجاعة , ومن دونِ خوفٍ من السلطات السعودية ؛ كي توصل رسالة للعالم أجمع أن المرأة السعودية قد سُلِبَ منها جسدها وذاتِها وحريتها وكل شيءٍ يخُصُّها , وهذا الحال المُزري للمرأة أودى بها للتوجه بجسدها نحو الإشباع أو إشباع الغريزة لديها , والتمرد على كل الموروثات الاجتماعية والعادات والتقاليد؛ من أجلِ الحصول على حريتها التامة , بحسب اعتقاد الكاتبة ونقرأ في نص أخر من الرواية كيف أن ثريا بعد بُرهةٍ من الزمن عندما تقدَّمَ بها العمر, بدأت تستذكِرُ في دفترِ ذِكرياتِها, ((لقد مرَّ العمرُ دون الشعورِ بمروره , هل تدفعُنا سنوات كهولتنا دفعاً للالتِحاق بِمَن يحمل معنا قُربةَ ذِكرياتنا , نطرُدُ هواجِسَ العجز)) [١٤] فنرى أن هذا النص يفيض بالنزعة الإنسانية والوجودية التي تميز كتابات **زينب حفني** , فنرى فيهِ تقاطُع الندم على الماضي , مع خوفها من مُستقبلِها (العجز) كذلك في رواية (وِسادة لِحُبِّك) , نجدُ وصفاً للملامح الجسدية الأنثوية , كيف أن الأم الأرملة منذُ سنوات , تهتم بجسدِها وملامِحِها , وكيف أن الرجال كانوا يرَونها في غاية الجمال , ولم تعطِ الفرصة لِأيِّ رجلٍ أن يستولي على جسدها ومفاتنها, ((الجميعُ كان يُرَدِّدُ أنني كنتُ في غاية الاناقة والتألُّق , وأنني بدوتُ بجانب ابنتي كأُختُها الكُبرى . أزحتُ الروب . تمعَّنتُ في خريطةِ جسدي . غمرني الارتياح . حمدتُ اللهَ على أنهُ لا يزالُ مُتماسِكاً , خالياً من تعرُّجات الدُّهون , رغم العقود الأربعة التي تخطيتُها للتو . طافت ابتِسامتي رِضا على صفحةِ وجهي . هزَزْتُ كتِفيَّ . رُبَّما لِأنهُ كان دوماً حصناً عصيَّاً على الغُرَباء! أو ربما لأن مدَّةَ استِهلاكِهِ لم تَطُل!..)) [١٥]نرى أن هذهِ المرأة من النوع النرجسي الذي يحبُّ ذاته وجسده , فنراها تنظر لِجسدِها كأداةٍ لتحقيق الرِضا النفسي الجسدي , البعيد عن نظرة الرجل إليها . كذلك نراها تُشَبِّهُ جسدها كالقلعةِ المنيعة المحصَّنة من الرجال , والمفعَّمة بالجمال مع العِفَّة, ونلاحِظ لفظة عقد الأربعين , كِناية عن سن الأربعين لها كمنطقةٍ للصراع , ومحاولتها لإثبات صمودها الجسدي المؤقت ضِدَّ ترهُّلاتِ جسدها مع الزمن . فمن خلال هذا النص نستطيعُ القول أن الكاتبة تُلَمِّحُ إلى

أنها كانت من النوع الذي يحبُّ جسده ويهتمُّ به , وتدعو النساء إلى الاهتمام بجسدِهن , ولا يَدَعْنَهُ عُرضةً للافتِراسِ من قِبَلِ الأخَرين.ونقرأ في نص أخر من الرواية نفسها ملامح الخوف والقلق والتأزُّم والحُزن من المستقبل, التي تبدو واضحةً جليَّةً من خلال نص الروائية على لسان شخصية الرواية (البنت) : ((عندما أُصيب أبي بِوعكتهِ الأخيرة , تَنبَّهْتُ لِرائِحةِ الموت , كانت تفوح بقوَّة من مساماتِ جلده . أخفيتُ دموعي ... سقطتُ بعد موتهِ في هوَّة الحزن . تلبَّسني القلق . جافاني النوم ليالي طويلة . أدمنتُ الحبوب المنوّمة فترة . كان تكرار تجربة الموت مُخيفاً . بِتُّ أكرهُ الموت من كلِّ قلبي . أصرُخُ وحيدةً في غرفتي : من ستأخذُ مني في المرةِ القادمة ؟! ألم يَكْفِكَ الأحِباء الذين سرقتهم مني ؟!))[١٦]. نلاحِظُ أن الجسد هنا يظهر كمرآة للتمزُّق والمُعاناة النفسية الحادَّة , فقد استخدمت الكاتبة استِعارة " سقطتُ في هوَّة الحزن "؛ كي تُعَبِّرَ عن الانهيار الجسدي التام , وأنهُ فقد السيطرة والتوازن . كذلك لفضة " تلبَّسَني القلق , وجافاني النوم ", فهذا الفعل "التلبُّس" , يوحي لنا وللقارئ بأن القلق والخوف صار أشبه بالثَّوب , الذي يغطي الجسد , وهذا تشبيه بليغ جدَّاً ليوحي أن هذا القلق وما شابه أصبح جزءاً لا يتجزَّأ من الجسد . بينما نستنتِجُ من مُجافاة البنت للنوم , وإدمانها على الحبوب المنوّمة , أن ملامحها الجسدية كانت عُرضةً للتعب والإرهاق الشديد المُفرِط , فالإدمان على الحبوب المنومة المهدِّئة والسهر الطويل يتركُ أثاراً شاحبة بالأخص في العينين , والوجه , مما يؤدي هذا القلق والخوف إلخ إلى انعِكاس صورةَ المرأة الحزينة المنكسِرة نفسياً وجسدياً نتيجةَ فقد الأحِبَّة . في رأيي كذلك الكاتبة حفني تستعمل ألفاظاً جزِلة قوية مليئة بالاستعارات الجميلة البليغة التي تجعل القارئ ينغمِسُ في القِراءة لفهم الحدث الروائي, والهدف بِآنٍ واحد .وفي رواية (بالأمس كنت هنا) نجدُ وصفاً للملامح الجسدية على لسان إحدى شخصيات الرواية ((بدأت تقاسيمُ وجهي تتدوَّر , وملامِحُ وجهي يُعادُ تشكيلها . كنتُ أحسد يسرى . انتصب عودُها , وبرز نهداها , وغدا وجهها أكثر جمالاً وجاذبية . ألاحِظُ , عند خروجنا للأسواق بصُحبةِ أمي , أنظار الشباب تتَّجِهُ دوماً نحوها ... كانت نار الغيرة تستعِرُ في أعماقي كلما دَقَّ بابنا شابٌ لِطلبِ يد يسرا . لاحظت أمي ما يعتريني . صارت تتحفَّظُ في الكلامِ أمامي حِرصاً على مشاعِري ... كان الفضول يدفعني للتنصُّت على أحاديثها مع أبي , فعرفت أنهُما اتَّفقا في ما بَينهُما على تأجيل موضوع زواجنا, حتى تتخرَّج كِلتانا من الجامعة . أزاح قرارهُما القلق الجاثِم على قلبي)) [١٧].نرى من خلال النص أن الفتاةَ لا تمتلكُ جسدها لِذاتها , بل هو جسدٌ يقوم على التقييم من قِبَل الآخرين (عيون الناس) , للمقارنة بينها وبين أختها (يسرى) , فجاسمين لم تتمتَّع بمراحلِ نموِّ جسدها وتفاصيله , بل وجدت فيهِ جانب مناظرة مؤلم وموجع مع أختها (يسرى) , التي كانت تراسيمُها الجسدية في غاية البروز والجمال . فهذه الملامح الجسدية في نظر الكاتبة هي الجانب الذي يحدِّد اتِّجاه ومسار الشخصية النسائية اجتماعياً , (الغيرة الهائجة والزواج السريع ,والانعِزال النفسي) . فالكاتبة السعودية نرى أنها تستعملُ الملامح والأوصاف الجسدية للمرأة بشكلٍ مُفرِط وصريح في رواياتها ؛ ربما لكي تكسِر حاجز التابوهات في نظرِها , ولتوضح أن المجتمع يقوم بحصرِ منزلة وقيمة الأنثى في تضاريس وتفاصيل جسدها قبل كل شيء .ونقرأ في نصٍّ أخر من الرواية الملامح الجسدية للشخصية (يسرى) التي كانت على علاقة حب مع حبيبها (طارق) , أحد شخصيات الرواية , على لِسان شقيقتها (جاسمين) التي كانت على علمٍ بكل الأحداث : ((تركَتهُ يلمسُ نعومةَ بشرتها . سمحت لهُ بتقبيلها قبلات طويلة . كان الفضول يدفعُها لتذوُّق قبلة لم تُجَرِّبها , ولا تعرفُ عنها سوى ما تُشهِدُهُ في الأفلام . أخبرتني كيف كانت تذوبُ بين ذِراعَيه في كل مرة يتلامسُ فيهِ جسداهُما ... قصَّت عليَّ كيف حاول مرَّة أن يقبضَ بِكَفَيهِ على نهدَيها . أبْعَدَتهُ عنهُما بِلُطف . قالت له بنبرةٍ رجاءً : لا أستطيعُ تحمُّل لمساتك . يداكَ دافئتان تُذيبانِ مُقاومتي ... دمعت عَينايَ لحظتها . أحسست بحرقةٍ تندلِعُ في أحشائي . تمنّيتُ أن أكون تلك الحبيبة ولو لليلةٍ واحِدة . ويكون طارق حبيبي الولهان)) [١٨]تتجلَّى صورة المرأة في هذا المقطع من الرواية من جِهةَ الملامح الجسدية في أن الكاتبة تستخدمُ الجسدَ لغرض إثارةَ الرغبة الجنسية , فالألفاظ المذكورة : (اليدَين مع النهدين , البشرة , نعومة الجسد, التلامس والقُبَل الساخنة) , هي ليست مجرد ألفاظ للوصف الخارجي لجسد المرأة , بل لتكون مَحْطَ تشابُك وصراع درامي مُلهِم عنيف في أحداث الرواية , ولتبيّنَ الكاتبة أيضاً مدى حاجةَ المرأة إلى إشباع الغريزة الجنسية لديها لتنمو تضاريس جسدها بشكلٍ جميل وتُحِسُّ بأُنوثتِها الحقيقة . كذلك قد ذكرنا مُسبقاً أن (يسرى) تتمتَّعُ بتفاصيل جسدية جميلة , حيث أصبحت محطَ أنظار الشباب والخُطَّاب لها , لكن هذا التناسق الجسدي الملفِت للنظر نرى أنه قد ولَّدَ صِراعاً نفسياً وكُرهاً مع الغيرة عند شقيقتها (جاسمين) , ((كرهتُ أختي بدون قصد منِّي . الحب كما يحدث عن غفلةٍ منَّا , ويحتل قلوبنا , ويُسيطِر على جوارِحِنا , كذلك الكره يستحوِذ علينا , دون أن نملكَ القُدرةَ على دفعهِ خارج أسوار حياتنا . أصبحتُ أتحاشى النظر في وجهِ أختي كي لا تفضحني نظراتي . كانت أحلامي قد تحوَّلت إلى كَومةٍ من الخَيباتِ بِسببِها!)) [١٩]نرى من خلال النص أن الكاتبة تهدفُ إلى أن الجسد الجميل المتناسق ذو البروز الجميل , يكون محط أنظار الكل من الرجال , ويخلق توترات نفسية حادَّة بين الشقيقات ؛ بسبب غيرة الشقيقة ذات الملامح الجسدية غير الجميلة , من شقيقتها ذات الملامح الجميلة الباهِرة .وفي رواية (الرقص على الدفوف) نجد وصفاً للملامح الجسدية لشخصية الرواية (عبير), بانفعالها وتشنُّج ملامحها وصوتها العالي الذي بدا واضِحاً ؛ بسبب غزو العراق للكويت, ((اختلطت الأصوات , تباينت الآراء, بين مدٍّ وجزر, انفعلت عبير, علا صوتها, دافعت بحرارة عن وجوب تحرير الكويت

بالقوة, حدَّقَتْ نجوى في صديقتها, أدهشها ارتِفاع سخونةَ تشنُّجاتها, سعت لِتهدئة الموقف, وهما في طريق العَودة سألتها نجوى بفضول : ما سببُ انفعالكِ الشديد ؟؟ معظمنا متعاطف مع الشعب الكويتي, لكن ألا ترَينَ أن استياءكِ كان زائداً عن الحد ؟؟ أجابتها بمبرّرات مفضوحة .. بل نابع من إيماني بأحقية الشعوب في السيادة على أراضيها))[٢٠]يُظهر النص تحوّل ملامح عبير الجسدية من التعبير عن الحب والذات إلى التعبير عن الغضب الوطني، إذ عكست انفعالاتها الحادة وتشنجها رفض الظلم والتعدّي على الشعوب. وتؤكد زينب حفني من خلال ذلك أن القضية الوطنية ليست فكرة عابرة، بل إحساس عميق ينعكس على الجسد والمشاعر ويفقد الإنسان توازنه أمام القضايا المصيرية.نقرأ في نصّ أخر الملامح الجسدية بين (سارة) و (عادل) أثناء ممارستِهما العلاقة الحميمية, ((أنتَ محظوظ . ليس كل فتىً في عمرك , تسنحُ له الفرصة لِأخذِ دروسٍ مجانية في العشق . كانت ينبوعاً متدفِّقاً من الرغبة المتوحِّشة التي لا تعرفُ الشبع , انبهرتُ بِأرضها الخصِبة , جموحها زادني اندِفاعاً لِإرواء همجية فحولتي . انتهت علاقتي بهذهِ المرأة بعد انتقالنا إلى منطقة أخرى قريبة من عملِ والدي . سقطت صورتها في حقيبة النسيان مع الكثير من أشيائي العتيقة))[٢١]الكاتبة في هذا المقطع تصور لنا الملامح الجسدية للمرأة المهيمنة والمسيطرة على جسد الرجل ؛ فنراها هي التي تمتلك زمام المبادرة الجسدية , فجسد سارة هنا ليس فقط وعاءً لمتعتها , بل أيضاً نراهُ يتحول إلى قوة طبيعية من خلال توظيف الكاتبة للاستعارات الجسدية الجميلة البليغة : (الجموح , الأرض الخصبة الينبوع المتدفِّق) , حيثُ تقوم هذهِ القوة بمُصادمة فحولة الرجل والتغلُّب عليها . الكاتبة حفني نراها ترسم الحالات الجنسية بين الرجل والمرأة بكثرة وبكلِّ وضوح وجرأة ؛ ربما لأنها كانت تعاني من عدم الإشباع الغريزي الجنسي , والكبت المخيِّم عليها , فلجأت إلى الكتابة الإبداعية بألفاظ فاضحة جريئة , اتخذتها ربما طريقاً للتنفيسِ عنها .في الرواية نفسها نجد مقطعاً أخر للكاتبة يصف الملامح الجسدية للمرأة التي هي في أوجِّ الحاجة للإشباع الجنسي الغريزي , ((عَمَّت الظلمة المكان , طَبَعَ على خدّي قبلتينِ خاطِفَتَين قائلاً "كل عام وأنتِ بخير مرتين" . أحسَستُ بملمسِ شفتيه , مسَّت رطوبتهما شغاف قلبي , خدرٌ لذيذٌ سرى في عروقي . عاد الضوءُ ثانيةً للمكان , تبخَّرَت نشوتي الخاطفة رجعنا لمقعدَينا , لاحظتُ ابتِسامة مُشرِقة تطفو على وجهِ ربيبكا , بادلتها الابتسامة))[٢٢].يظهر جسد الأنثى في النص بوصفه كيانًا متغيرًا ومتفاعلًا، ينتقل من البعد المادي إلى الشعوري المفعم بالعاطفة والانسجام. وتؤكد زينب حفني أن المرأة تمتلك وعيًا وإرادة في تحديد القبول أو الرفض داخل علاقتها العاطفية.ثمَّ يتحوَّل المشهد من ملامح جسدية فرحة بحالات الحب والغزل والرخاء والقبول الجسدي للأخر, إلى ملامح جسدية مُتعبة متهالِكة قد استولى عليها المرض المُميت , ((لاحظتُ أن حجرة زياد تعمها الفوضى , في إحدى الزوايا كانت تقبعُ بعضاً من الحوامل المعدنية , وقطع من المجسَّمات الصغيرة , إضافة إلى رأس خشبي لامرأة خمسينية مُتهالِكةَ الملامح , وبجانبه رأسٌ من البرونز لامرأة في العمر نفسه تقريباً تعطي الانطباع نفسه , لو دقَّقَ الناظر في تقاسيمِ كُلٍّ منهُما على حِدة , سيكتشفُ أنها تعود لامرأة واحِدة ." من هذه المرأة " سألتهُ بفضول .تغيرت سحنة وجهه " هي لِأمّي . ماتت العام الفائت بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان . قصدتُ تخليدها قبل أن ترحل عنّي " آسِفة . لم أقصِد تحريك أحزانِك))[٢٣].يُبرز النص لحظة تحول درامي في ملامح المرأة، إذ تغيّرت سحنة وجهها فجأة عند الحديث عن المرض والموت، فتحول الجسد من صورة للأنوثة والجمال إلى مظهر يفيض بالحزن والألم. ومن خلال ذلك تؤكد زينب حفني رؤيتها للجسد بوصفه وعاءً يجمع بين جمال الأنوثة ووجع الذاكرة في آنٍ واحد.وفي رواية (لم أعد أبكي) , نجد وصفاً للملامح الجسدية الأنثوية الجنسية الملتهبة على لسان شخصيَّتَي الرواية : (غادة , زيد) : ((استيقظتُ ذات ليلةٍ مذعورةٍ من نَومي كأن ناراً تتدلعُ في فِراشي . كانت الساعة تشيرُ إلى الواحدة بعد منتصف الليل . يتصارعُ شبقي المتوحِّش في داخلي , يحاصِرُني من كافة الاتجاهات محاوِلاً دفعي إلى الاستسلام . وجدتُّ نفسي بلا وعي أنفضُ اللِّحافَ عن جسدي وأتسلَّل بِخِفَّة من غرفتي ... كنتُ أرتدي منامتي القطنية السماويَّة اللون , يربطها من الخلف خيطان رفيعان , وقد برزت هضبتا نَهدَيَّ اليانعين من فتحة الصدر...))[٢٤].نرى (غادة) بعد التجربة الغريزية الأولى مع سائق العائلة (زيد) , كيف تفتَّحت براعمها وأنوثتها الجسدية الملتهبة لِزَيد , قامت من نومها في منتصف الليل متوجهة بكل خفَّة وتوجُّس نحو زيد ؛ لإشباع جسدها الهائج ذات النهود الناعمة البارزة من فتحة صدرها . فهذهِ الاستعارات النارية التي استعملتها الكاتبة في وصف ملامح جسد المرأة (نار , شبق , التوحُّش , الخفَّة) , تدل بها على مدى تفاعل المرأة مع الجنس بكل وحشيَّة وجرأة , وأنها تفعل المستحيل إذا شعرت أن غريزتها في مُنتهى الحاجة للرجل . نتابع تحليل النص نفسه ونرى مدى قوة الهيجان الجنسي المفاجئ لغادة((طرقت باب غرفة زيد طرقاتٍ خفيفة ... فتح الباب وهو يفرك عينيه ... توسَّلَ أن أعود إلى غرفتي قبل أن تكتشِفَ أمي غيابي. لم أعِر اهتِماماً لِكلامه , ودفنتُ شفَّتي في شفَّته. فجرنا ومضة خاطفة كل براكين أشواقنا المكبوتة على تربة اللاوعي. كان لقاءً عاصِفاً. ظللنا ساعات متلاحمين حتى لاحت خيوط الفجر الأولى. لملمتُ لحظتها نفسي وهرعتُ إلى داخل البيت. اندسستُ في سريري وغرقتُ في سباتٍ عميق. استَيقَظتُ عند الظهيرة , تحسَّستُ عانتي. أدركتُ أنَّني لم أعُد عذراء))[٢٥].يتمحور النص حول دلالة الجسد الأنثوي بوصفه وسيلة للتحرر وكسر القيود الاجتماعية، إذ صوّرت الكاتبة زينب حفني الجسد باعتباره فضاءً للكشف عن الرغبات المكبوتة والتحول النفسي للمرأة. وقد تجلّى ذلك في شخصية غادة التي انتقلت من البراءة إلى

الوعي الجسدي نتيجة علاقتها بزيد، في ظل غياب الحنان الأسري وكثرة الخلافات والعنف بين والديها، مما دفعها للبحث عن الأمان العاطفي لديه. غير أن زيد استغل ضعفها النفسي وطفولتها، فكانت العلاقة انعكاسًا لحرمانها العاطفي وتفكك بيئتها العائلية أكثر من كونها تعبيرًا عن رغبة مستقلة. ((كُنَّا نلتقي أحياناً مرة في الأُسبوع, وأحياناً أخرى مرَّتَين أو ثلاثاً حسب مُلاءمة الوقت والتاريخ)) [٢٦].غادة أصبحت كبيرة يافِعة بالغة في عمر السابع عشرة سنة ولم تترك أفعالها المحرمة دينياً وأُسريًّاً واجتماعياً : ((استمرَّت علاقتنا إلى أن بلغت السابعة عشرة. كان زيد وقتها قد أصبح في الثامنة والعشرين. لم أكُف عن لِقائه...)) [٢٧]فغادة بسببِ أُسرتِها, الأسرة التي تفتقِر لمعالم وأخلاق وانضباطيات الأسرة الصحيحة نراها قد اتَّجهت إلى زيد؛ لتعويض الحنان الذي فقدتهُ من العائلة وإشباع الحاجة الغريزية لديها, فنرى أن غادة قد تولَّدت لديها بذرة التمرُّد وحب الذَّات وتحرُّرِها وانقِلابِها على كل الموروثات الاجتماعية والإسلامية والأسرية السعودية من دون الاكتِراث لما سيَحِلُّ بها ولمصيرها. فالروائية تُنَوِّهُ هنا إلى أن الأسرة السعودية هي أُولى المرتكزات الأساسية التي تسيرُ على نهجِها المرأة السعودية, (البنت أو الأخت أو الزوجة, وما شابه .

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن تلخيص أبرز النتائج التي تم التوصل إليها:

- إن الملامح الجسدية في الروايات المدروسة تمثل أداة فنية رئيسة للكشف عن البنية الداخلية للشخصية النسائية، حيث ارتبط الوصف الجسدي بالحالة النفسية والانفعالية للمرأة، مما جعل الجسد امتداداً مباشراً للذات وما تحمله من صراعات داخلية .
- يتضح أن المرأة في روايات زينب حفني تتأرجح بين صورتين أساسيتين: صورة المرأة الجميلة التي يمنحها جسدها حضوراً اجتماعياً مؤثراً، وصورة المرأة المعذبة التي تعكس ملامحها آثار القهر الاجتماعي والحرمان العاطفي والضغط الأسري .
- أظهرت الدراسة أن الخطاب الروائي عند زينب حفني يوظف الجسد الأنثوي بوصفه فضاءً رمزياً يعكس القضايا الاجتماعية، ولا سيما ما يتعلق بالكبت والسلطة الذكورية والقيود الثقافية، الأمر الذي يمنح النص بعداً نقدياً للواقع الاجتماعي .
- كما بينت النتائج أن الكاتبة تعتمد على تفاصيل دقيقة في رسم الجسد مثل ملامح الوجه، والعينين، والشعر، وحركة الجسد، لتشكيل صورة روائية متكاملة تعكس الحالة النفسية والاجتماعية للشخصيات .
- إن الجرأة في طرح موضوع الجسد لا تأتي بوصفها غاية جمالية فقط، بل هي وسيلة فكرية تهدف إلى مساءلة البنية الاجتماعية وإبراز موقع المرأة داخلها، وما تواجهه من تحديات على مستوى الهوية والوجود .

مصادر البحث :

- حفني، زينب. (١٩٩٨). الرقص على الدفوف. سجل العرب، القاهرة.
- حفني، زينب. (٢٠٠٦). ملامح (ط١). دار الساقي، بيروت.
- حفني، زينب. (٢٠٠٦). نساء عند خط الاستواء (ط٢). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- حفني، زينب. (٢٠٠٧). لم أعد أبكي (ط١). دار الساقي، بيروت.
- حفني، زينب. (٢٠٠٨). سيقان ملتوية (ط١). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- حفني، زينب. (٢٠١١). سيقان ملتوية (ط١). دار الساقي، بيروت.
- حفني، زينب. (٢٠٢٠). الأمس كنت هنا. دار نوفل، بيروت.
- حفني، زينب. (n.d.). السيرة الذاتية. زينب حفني – الموقع الرسمي. تم الاسترجاع في ٢٤ مايو ٢٠٢٦، الرابط الالكتروني : https://www.zhauthor.com/cv-page
- رفاعية، ياسين. (٢٠٠٤). لم أعد أبكي لزينب حفني. صحيفة المستقبل، ثقافة وفنون.
- السعداوي، نوال. (١٩٩٤). الوجه العاري للمرأة العربية (ط٣). دار المستقبل، القاهرة.
- الشرفات، مطر. (د.ت). شخصية المرأة في روايات غازي القصيبي.

هوامش البحث

[١] ينظر : السيرة الذاتية للروائية زينب حفني عبر الموقع الإلكتروني : https://www.zhauthor.com/cv-page

[٢] ينظر : السيرة الذاتية للروائية زينب حفني عبر الموقع الإلكتروني : https://www.zhauthor.com/cv-page

(٣)زينب حفني , نساء عند خط الاستواء, الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت– لبنان, ط٢, ٢٠٠٦م : ١١١–١١٢.

(٤) ينظر : الوجه العاري للمرأة العربية , نوال السعداوي , دار المستقبل , القاهرة , ط٣ , ١٩٩٤ : ٢٨٧ .

(٥) ينظر : شخصية المرأة في روايات غازي القصيبي , مطر الشرفات : ٨٧ – ٨٨ .

(٦) لم أعد أبكي , زينب حفني , دار الساقي , بيروت – لبنان , ط١ , ٢٠٠٧م : ٩ .

(٧) لم أعد أبكي , حفني : ٩– ١٠ .

(٨) لم أعد أبكي , زينب حفني : ١٨ .

(٩) ينظر: مقال نقدي , صحيفة المستقبل , لم أعد أبكي , لزينب حفني , ياسين رفاعية , الاثنين ٣ مايو , ٢٠٠٤م, ثقافة وفنون , author.

(١٠) ملامح , زينب حفني , دار الساقي , بيروت , ط١ , ٢٠٠٦م : ١٤ .

(١١) ملامح , زينب حفني : ٢٩ .

(١٢) ملامح , حفني : ١١٧ .

(١٣) ملامح , حفني : ٩١ .

(١٤) ملامح , حفني : ١١٤ .

(١٥) سيقان مُلتَوية , حفني , دار الساقي , بيروت – لبنان , ط١ , ٢٠١١ : ٨ – ٩ ..

(١٦) سيقان ملتوية , حفني : ٢٠ .

(١٧) زينب حفني , بالأمس كنت هنا , دار نوفل , بيروت – لبنان , دون طبعة , ٢٠٢٠ : ٣٩ – ٤٠ .

(١٨) حفني , بالأمس كنت هنا : ٥٤ .

(١٩) حفني, بالأمسِ كنت هنا : ٥٤ .

(٢٠) زينب حفني , الرقص على الدفوف , سجل العرب , القاهرة – مصر , ط١ , ١٩٩٨م :٣٠ .

(٢١) زينب حفني , سيقان ملتوية , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت–لبنان , ط١ , ٢٠٠٨م , مقتطفات من الرواية من الفصل الثاني , من خلال رابط مؤلفات الكاتبة الذي أرسلته لي على الواتساب : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٢) المصدر السابق , مقتطفات من رواية (سيقان ملتوية) من الفصل الثاني على الرابط الإلكتروني : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٣) المصدر السابق على الرابط الإلكتروني : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٤) زينب حفني , لم أعد أبكي , الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر , بيروت– لبنان , ط٢ , ٢٠٠٧م , مقتطفات من رواية الكاتبة حفني , الفصل الثاني , من صفحة ١٥– ٢٨ . على الرابط الإلكتروني الذي أرسلته لي الكاتبة : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٥) زينب حفني , لم أعد أبكي , الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر , بيروت– لبنان , ط٢ , ٢٠٠٧م , مقتطفات من رواية الكاتبة حفني , الفصل الثاني , من صفحة ١٥– ٢٨ . على الرابط الإلكتروني الذي أرسلته لي الكاتبة : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٦) زينب حفني , لم أعد أبكي , الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر , بيروت– لبنان , ط٢ , ٢٠٠٧م , مقتطفات من رواية الكاتبة حفني , الفصل الثاني , من صفحة ١٥– ٢٨ . على الرابط الإلكتروني الذي أرسلته لي الكاتبة : https://www.zhauthor.com/books/

(٢٧) المصدر نفسه , على الرابط الإلكتروني : https://www.zhauthor.com/books/